لن تكون للعربية حياة إلا إذا غدت «لغة الحياة»

د. محمد جابر الأنصاري www.dr-mohamed-alansari.com

اللغة العربية من محددات القومية، وفي الحالة العربية احتلت اللغة العربية مكانة بارزة في تحديد «من هو العربي»؟ والعضوية في جامعة الدول العربية من أبرز شروطها كون العربية لغتها الرسمية.

ويدخل الأصل، مع اللغة، في تحديد القومية، ولكن ذلك ينطبق على بعض العرب في آسيا، أما عرب أفريقيا فاللغة العربية هي العامل الأول في تحديد عروبتهم، ويشكو الناس في المرحلة الراهنة من ضعف تدريس اللغة العربية، وهناك أكثر من سبب في هذا الضعف.

من هذه الأسباب: ضعف التدريس، وكون أساتذة اللغة العربية غيرملمين إلماماً كافياً بمادة تدريسهم، وإذا أراد مدرس العربية «تقوية مادته» بكتاب مقرر، اتضح أن الكتب المقررة في المواد الأخرى، وبلغات أخرى، تفوق مادته.

ونظراً لذلك، فقد أصبح مدرس العربية «Mr. No.» بين مدرسي المدرسة، وموضع التندر من الأساتذة والطلبة!

وعلينا أن نعترف أن العربية لغة صعبة، وقد بُذلت جهود لاتنكر في التبسيط، ولكن هذا التبسيط لم يحقق أهدافه – بعد – وهناك مواضع في النحو العربي تثير الضحك والسخرية، من أمثلة ذلك: «نائب الفاعل».

فنائب الفاعل، يُرفع ضماً، كالفاعل نفسه فاذا قلنا: «قُتل الخروف» فمعنى ذلك أن الخروف قتل نفسه!! أي انتحر!! فأي مدرس عاقل على استعداد لتدريس هذا المثال؟

ونظراً لصعوبات كهذه ، فان عزوف الطلبة عن اللغة العربية والقراءة بلغات أجنبية له ما يبرره ... ومن خبرتي في العمل الجامعي، فان جامعات محترمة تنص لائحة تدريسها على أن العربية «هي لغتها الرسمية» تجنح للتدريس بلغة أجنبية نظراً لعاملين:

أولا: الكتب المقررة لمادة التخصص.

ثانيا: الأساتذة الذين يتحدثون الأجنبية ولا يحسنون العربية.

وقد ظل هذا العذر يتكرر في تلك الجامعات دون أن يفعلوا شيئاً بشأنه.

كما يميل الطلبة للتحدث بلغة أخرى غير العربية ... وهناك نقاط ضعف كثيرة أخرى، ولكن هذا يكفي والايجابية الوحيدة التي أراها، هي انتشار الروح الدينية في مجتمعاتنا العربية واهتمام الشباب بالقرآن الكريم، باعتباره معبراً عن هذه الروح.

والبلد الوحيد الذي أراه قادراً على التصدي لضعف العربية: هو السعودية، ولم تتخل الشخصيات السعودية عن هذه المهمة.

فالملك عبدالله بن عبد العزيز وضع جائزة للترجمة سنويا، والأمير سلطان بن عبد العزيز رحمه الله، قام بعدة مبادرات في اليونسكو وغيرها نحو اللغة العربية، والأمير سلمان بن عبد العزيز ولي العهد السعودي من خلال اهتمامه بتاريخ الجزيرة العربية حثّ على التأليف في هذا الموضوع.

والأمير خالد الفيصل، مؤسس وراعي مؤسسة الفكر العربي، جعل من «حوار العرب» مجالاً خصباً للبحث في قضايا الأمة، هذا بالإضافة إلى مقررات التدريس، بالعربية، في المعاهد والجامعات السعودية ما يثلج قلب المرء الذي يريد للعربية البقاء والإزدهار... وفي المنابر السعودية تسمع الناس يتحدثون العربية فلا تجد ضعفاً أو تردداً.

وأعتقد أن دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال جوائز الكتاب السنوية، قد أسهمت في خدمة اللغة العربية أيضاً.

وينبغي ألا ننسى دولة الكويت التي صدرت مجلة «العربي» وخصصت ميزانية مستقلة لإصدارها. ومازالت تصدر منذ عام 1958م إلى يومنا هذا ...

كما أن الكويت أصدرت في المسرح والرواية مانشأ جيل عربي جديد في المشرق والمغرب، على قراءتها والاستفادة منها. وفي سلطنة عمان يتحدث الناس بلهجة هي الأقرب إلى الفصحى. كما أن السلطان قابوس بن سعيد لاينطق في خطبه إلا من خلال تشكيل قريب من الفصحى وإذا اتحدت دول مجلس التعاون، كما دعا إلى ذلك الملك عبد الله بن عبد العزيز، وأيده في هذه الدعوة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين، فان دول المجلس في ظل الاتحاد، تستطيع بالتنسيق فيما بينها أن تقدم خدمات للغة العربية التي هي في حاجة لمثل هذه الخدمات.

علينا أن نعترف أن العربية لغة صعبة وقد بذلت جهود لا تنكر في التبسيط

وفي الأردن، بلد الدعوة الهاشمية، وكذلك في المملكة المغربية التي قاومت ببسالة الإضعاف الأجنبي للعربية تسمع عربية فصحى، هي من أثر الشعور بضعف اللغة العربية. كما أن مقاومة أقطار المغرب العربي للفرنسية، كما في الجزائر وتونس، من الأمور التي تذكر باعتزاز.

ولا يمثل التحول إلى عربية حية مسألة صعبة. فلا بد من تأليف لجنة للتصدي لهذه المهمة يكون أعضاؤها:

1.ممن تمكنوا من العربية شعراً ونثراً وقرأوا فكراً نثرياً عربياً بالذات .

2. اطلعوا على ما كتب باللغات الأجنبية.

3. أن يكونوا من المؤمنين بالعروبة والعربية.

وإذا ما وضع هؤلاء منهجاً فانه لن يعكس ضعفاً للغة العربية كالضعف الذي نعاني منه الآن، وستكون العربية «لغة الحياة» .

والله من وراء القصد ،،،

فسحة للتأمل

د. حسن مدن

اختبارات الهوية

يقول فيلسوفنا العربي ابن رشد: «إن الهُوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود وهي مشتقة من الهُو كما تشتق الإنسانية من الإنسان»، وينصرف الذهن عند الحديث عن الهوية إلى أسئلة من نوع: مَن أنا؟ ومَن الآخر، ولا ينحصر «الآخر» هنا بمن هو خارج سياقنا الثقافي والتاريخي القومي أو الوطني – المحلي، وإنما يشمل أيضاً الآخر في الثقافة الواحدة ذاتها، وفي الحيز الجغرافي والتاريخي الواحد، الذي حتى وإن شكّل نسيجاً وطنيا واحدا، على درجة كافية من التماسك والإقناع، إلا أنه ينطوي أيضا على عناصر مختلفة، آتية من جذور مختلفة، أومن ملابسات تطور تاريخي مختلفة، ولا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات، مهما بلغت درجة تجانسه، من أسئلة تطرحها «الأنا» على ذاتها وعلى الآخر في إطار ثنائية التعايش والاختلاف.

وهناك عدد من المفاصل التي تُسعفنا في الإمساك ببعض مُكونات الهوية، على شكل مجموعة من السمات والصفات المشتركة التي تربط ما بين أفراد أمة من الأمم أو جماعة بشرية من الجماعات، كاللغة، مثلاً، حين يدور الحديث عن هوية لغوية – ثقافية لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم.

ويعد الدين أهم عناصر الهُوية، لأنه يشكل لمعتقديه عامل طمأنينة وسكينة، توحدهم، ويمكن أن يكون الجنس، بمعنى التقسيم بين الرجال والنساء، مُحددا آخر للهوية حين يدور الحديث عن اتحادات أو تجمعات النساء مثلاً، ويصبح لون البشرة، في حالة أخرى محددا لهُوية تجمع بين الأقليات السوداء في مجتمع من المجتمعات، أو حتى هوية جماعية لشعوب قارة بكاملها، كما هو الحال بالنسبة لأفريقيا مثلاً، على النحو البديع الذي شرحه فرانز فانون في: «بشرة سوداء.. أقنعة بيضاء»، وما يصح على السود والملونين يصح على البيض في حالات أخرى.

الهُويات العامة، الجامعة، عادة ما تتشكّل من هويات فرعية، ويمكن لهذه المكونات الفرعية للهوية أن تشكل عامل إغناء وإثراء للهوية الجمعية، فالتعدد الثقافي والحضاري واختلاف الهويات في أي مجتمع هو أمرٌ صحيّ ومقبول، ذلك أن الشعور بالانتماء لهوية فرعية، في إطار هوية وطنية أو قومية أو إنسانية، لا يشكل في حدّ ذاته إشكالية، غير أن تغذية الهُويات الفرعية بمشاعر رفض الآخر، هو الذي أدى إلى ما يشهده عالم اليوم من انفجار في الهُويات الفرعية. ويقود التضخيم المفتعل لنقاط خلاف الهُوّيات الفرعية إلى الانقسامات والحروب الأهلية، حين تتحول الخلافات إلى هُويات قاتلة بتعبير أمين معلوف في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه.

دون الحاجة إلى الدخول في التفاصيل، فإن هذا الفهم يعيننا على إدراك وتحليل بعض ما يدور في العديد من المجتمعات التي تخفق في مداواة الهويات الجريحة، مما يطرح مهمة التعاطي بروح تجعل من تعدد الهُويات عاملاً خلاقاً ومثرياً للعطاء الثقافي والحضاري، فكل ما تعددت المنابع الثقافية والحضارية في أي مجتمع كلما أدى تلاقحها وتفاعلها إلى ثراء وغنى، على عكس الحال في المجتمعات ذات اللون الواحد، لكن يمكن لتعدد الهُويات أن يصبح قاتلا على نحو ما يذهب إليه أمين معلوف، إذا لم يحسن أبناء المجتمعات المعنية صوغ العلاقة بين التكوينات المتعددة فيها، وتكريس مبدأ المواطنة المتكافئة والمتساوية في الحقوق والواجبات، ونبذ صور التمييز والإقصاء.

للرجوع للمقالات السابقة

madanbahrain@gmail.com

عن صحيفة الإتحاد الإماراتية

مع الناس

إسحاق الشيخ يعقوب

أروسيا إمبريالية؟!

ما هي الإمبريالية؟!

الإمبريالية واقع إنتاج مالي وصناعي احتكاري متنامي الاضطراد في النمو والتمركز عبر مشاريع انتاجية متعددة الفروع لكارتيلات وتروستات متعددة الجنسيات الاحتكارية وذات تأثيرات اساسية في الحياة الاقتصادية من واقع التمركز الصناعي والبنكي الذي اصبح متعاظم النمو في الانتقال من الرأسمالية الى الامبريالية عبر نشوء الاحتكارات التي تسيطر سيطرة كاملة على الحياة الاقتصادية، وهو ما يعني ان لها سيطرة مؤثرة في الحياة السياسية.

وتلعب التجهيزات التكنيكية الفائقة الجودة لدى هذه التروستات والكارتيلات دوراً توسعياً في السيطرة على الاعمال اليدوية والتهامها خلال تقنية الآليات الاوتوماتيكية وغيرها من التقنيات المتعددة الملكات!!

إن المزاحمة الحرة في الاقتصاد يشتد عضدها التزاحمي في الميل الى تمركز الاحتكار وهو ما يجعل حفنة من الاحتكاريين تكرّس بطش استغلالها وظلمها على بقية المواطنين، ان الاحتكار هو اداء انتاجي مالي وصناعي يجدد ويطور ويأخذ بيد الرأسمالية الى الامبريالية.. وإن تحول الرأسمالية الى امبريالية.. هو انتقال عمل البنوك من وسطاء الى احتكارات مالية تتحكم وتتصرف بمعظم الرساميل النقدية العائدة لمجموع الرأسماليين وصغار اصحاب الاعمال فيما يعرف بالبرجوازية الصغيرة، وكما ان الاحتكارات في الميادين الصناعية نراها ايضا في الميادين البنكية والمالية والعقارية وسوق البورصة، إذ تتحول البنوك الصغيرة الى فروع للبنوك الكبيرة وتشكل شبكة من البنوك التي تغذي الاحتكارات الصناعية والمالية على حد سواء!!

ومعلوم ان واقع الامبريالية كما يشير لينين في كتابه المثير لجدل التأمل (الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية) تتأسس في عملية التمركز في الانتاج الصناعي وفي الرساميل المالية البنكية التي تؤدي الى نشوء الاحتكارات والتروستات والشركات المتعددة الجنسيات في رساميلها ومنتوجاتها الصناعية العابرة للمحيطات دورها الحاسم في السيطرة على العملية الاقتصادية برمتها وهو ما تأسس على تحالف وتضامن ودمج رأس المال البنكي الاحتكاري برأس المال الصناعي الاحتكاري والمتوحد كرأسمال احتكاري مالي واحد هو ما يؤدي الى البحث والابتكار في سبل النمو والسيطرة على حركة السوق والعمل على تصدير انتاجاته السلعية والدفع بها الى اسواق العالم!!

وتشكل تصدير السلع الصناعية أهمية كبيرة في النمو والتطور والجودة في عملية التنافس وما يشكل حيوية رأس المال ودوره في انعاش حركة السوق ضمن واقع العرض والطلب. وتقوم الاحتكارات الدولية وفق ضرورة النمو والربح والسيطرة على الحياة الاقتصادية الى تقسيم العالم اقتصادياً بين الشركات الاحتكارية الصناعية والمالية.. وتعزز هيمنتها وسيطرتها على مقدرات الشعوب وتكريس البؤس والشقاء فيها.. وبهذا يصبح العالم مقسماً إقليمياً عالمياً بين ايادي حفنة من الدول الرأسمالية الكبرى التي تطورت عبر الشروط الاحتكارية المتنامية في ذروة الانتاج والتنوع والتعدد والتوسع.. وفي الانتقال من الرأسمالية الى الامبريالية!!

وتشير الموسوعة الفلسفية ان الامبريالية هي: «المرحلة الاعلى الاحتكارية والاخيرة في الرأسمالية وهي مرحلة بدأت ببداية القرن الحالي وقد قدم لينين في كتابه (الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية) 1916 عرضاً منهجياً ومفصلاً لنظرية الامبريالية فقد حلل اقتصاد البلاد الرأسمالية وخص الجوهر الاقتصادي للامبريالية وأوضح سماتها الرئيسية الخمس:

1 – يتركز الانتاج ورأس المال في عصر الامبريالية الى درجة تؤدي الى نشوء الاحتكارات التي تقوم بالدور الحاسم في الحياة الاقتصادية للدول الرأسمالية.

2 – يندمج رأس المال المصرفي الاحتكاري مع رأس المال الصناعي الاحتكاري ويشكلان رأس المال المالي اي الاحتكار المالي.

3 – يكتسب تصدير رأس المال كشيء متميز عن تصدير السلع أهمية كبيرة خاصة.

4 – تؤدي عملية فرض سيطرة الاحتكار الى تكوين الاحتكارات الدولية التي تقسم العالم بينها اقتصادياً.

5 – يتم التقسيم الاقليمي للعالم بين حفنة من الدول الرأسمالية الكبرى وبانتقال الرأسمالية الى مرحلة احتكار.

وقد تحولت الرأسمالية الاحتكارية الى امبريالية الدولة، وهو ما يرتبط بين قوة الاحتكارات ونفوذها وسيطرتها على الحياة الاقتصادية وبين قوة الدولة مما يؤدي الى اثراء طواغيت الرأسمالية الامبريالية وإفقار ابناء الشعب.. وما يعكس حالات استثنائية في الازمات وفي تنامي احتدام التناقض بين العمل ورأس المال.

وتشكل المنافسة الرأسمالية في سوق العمل والانتاج إحدى العوامل الفاعلة في ميادين الابداع والابتكار من اجل خلق سلع رأسمالية منافسة في اسعارها وفي تقنية جودتها وحسن مظهرها وأناقة عرضها.. وتفتح مجالاتها الواسعة في تطوير العلوم والمعارف واستخدام العقول العلمية وإنشاء مراكز الدراسات في الميادين الجامعية والاكاديمية؛ تكريساً لمصالحها وشد ازر استغلالها واسترقاقها ويلعب القطاع العام للدولة الرأسمالية عاملاً فعالاً في حلحلة الازمات الرأسمالية الدورية وتقديم الروشتات الطبية العلاجية والمسكنات لتضميد جروحها وإدارة أزماتها على حساب قوت الشعب ولقمة عيشه وكرامة إنسانيته!!

للرجوع للمقالات السابقة